أدب العصر العباسي

المصادر:

1- الأدب العربي في العصر العباسي، ناظم رشيد.

2- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي.

3- تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الأول، شوقي ضيف.

4- تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف.

5- الشعراء المحدثون في العصر العباسي، العربي حسن درويش.

6- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، محمد زكي العشماوي.

7- اتجاهات العربي في القرن الثاني الهجري د. محمد مصطفى هدارة.

8- تاريخ الأدب في العصر العباسي د. ابراهيم علي أبو الخشب.

مفردات المادة:

عوامل ازدهار الثقافة في العصر العباسي:

عوامل ازدهار الشعر في العصر العباسي:

الأدب في العصر العباسي:

أولاً/ الفنون الشعرية:

أ/ الموضوعات الشعرية:

1-المديح. 2- الهجاء. 3. الرثاء. 4- الغزل. 5- الوصف. 6- الزهد والتصوف. 7- المجون. 8- الخمريات.

ب/ التجديد في الشعر العباسي:

1 -التجديد في المعاني والأفكار.

2 -التجديد في الألفاظ والأساليب.

3 -التجديد في الأوزان والقوافي.

4- التجديد في الموضوعات.

أ/الشعوبية والزندقة. ب/الزهد والتصوف ج/الشعر الفكاهي. د/الشعر التعليمي.

ج/ نماذج من الشعراء:

1 -أبو تمام الطائي.

2 -ابن الرومي.

3 -أبو الطيب المتنبي.

ثانياً/ الفنون النثرية:

أ/ فنون النثر الشفاهي.

ب/ اتجاه الكتابي.

ج/ السرديات القصيرة.

مدخل:

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية سنة 132 هـ، وامتد حكمها خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدي المغول بزعامة هولاكو سنة 656 هـ.

وكان قيام هذه الدولة مسبوقا بدعاية واسعة النطاق عرفت بالدعوة العباسية التي دامت حوالي ثلث قرن تقريبا، خلال الفترة الممتدة من سنة 99 هـ إلى سنة 132 هـ. ونسبت إلى عم الرسول صلى الله عليه وسلم العباس بن عبدالمطلب (32هـ).

العهد العباسي:

يرى المؤرخون أن العهد العباسي مر بعصرين رئيسين، هما العصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني:

أولا: العصر العباسي الأول:

ويُعد العصر الذهبي، ففيه توطدت أركان الدولة، إذ تم تحجيم العنصر الفارسي وقضي على المارقين على الدولة. وقد عاقب عليه تسعة خلفاء هم: السفاح 136هـ، والمنصور 158هـ، والمهدي 169هـ، والهادي 170هـ، والرشيد 193هـ، والأمين 198هـ، والمأمون 218هـ، والمعتصم 227هـ، والواثق 232هـ، وفي هذا العصر بنى المنصور مدينة بغداد واتخذها عاصمة للدولة العباسية، إذ أصبحت من أكبر مدن العالم الإسلامي وأفخمها، بثقافاتها وتجارتها وفنونها وعلومها.

ثانيا: العصر العباسي الثاني:

وقد مر بثلاث مراحل هي:

مرحلة النفوذ التركي على الخلافة العباسية (232-334) هـ، تولى فيها العنصر التركي زمام الدولة كلها، وانتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء، وأصبحت الخلافة لا تولى إلا لمن وافق هوى الأتراك وخضع لهم، وبدأ الضعف يدب في كل أركان الدولة العباسية..

مرحلة النفوذ البويهي الفارسي (334-447) هـ، وكان مركز البويهيين في الري وشيراز، وظهرت في هذه الفترة عدة دويلات استقلت عن الخلافة العباسية كالدولة الحمدانية في الموصل وحلب (317-349) هـ.، والدولة الإخديشية في مصر والشام (323-358) هـ.

ج- مرحلة نفوذ الأتراك السلاجقة (447-656) هـ، وقد سيطر السلاجقة على مقدرات الخلافة حتى اقتحم المغول بغداد وأنهى الحكم العباسي سنة 656 هـ / 1258م.

عوامل ازدهار الثقافة في العصر العباسي:

عرفت الحياة الثقافية في العصر العباسي ما عرفته الحياة السياسية والاجتماعية من تنوع وتعدد وغنى، ونظرا لتوسع رقعة الدولة وامتداد سلطانها خمسة قرون ونيف، فضلا عن تضافر جهود العرب والأعاجم معا في إغناء مظاهر هذه الحياة، في جو من التسامح وحرية الرأي والتعبير إلى درجة..

وكانت الثقافة من أقوى العوامل في نهضة الدولة العباسية إذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في مختلف نواحيها ومنها الأدب، وقد بالغوا في إكرام العلماء والأدباء وجالسوهم..

فقد اتسعت الثقافة العباسية بامتزاجها بالثقافات الأجنبية، وهي الثقافة اليونانية، ثم الثقافة الشرقية (الفارسية والهندية) منها على وجه الخصوص، فأضيف إلى ثروتها العلمية علوم نقلت –وكان أكثرها يونانية- كالفلسفة والطب والهندسة وعلوم أخرى.

وأضيفت إلى الثروة العربية معان جديدة وأساليب علمية وقصصية مبتكرة، وكانت سيطرة الفرس على الأدب العباسي شديدة، وقد مرت هذه السيطرة بدورين: دور الترجمة ودور القراءة والمزج.

وكانت للثقافة الإسلامية الأثر الأكبر في الأدب التي تعتمد على القرآن الكريم وما يتصل به من علوم الدين، وعلى الشعر وما يتصل به علوم النحو واللغة والبلاغة وغيرها..

ويمكن تلخيص العوامل المؤثرة في الثقافة بصورة عامة على النحو الآتي:

1 -انتشار النسخ والتدوين والقراءة.

2 -انتشار المكتبات العامة، كمكتبة (بيت الحكمة) في بغداد.

قال محمد بن يسير واصفاً كتبه:

هُمْ مُؤْنِسُونَ وَأُلَّافٌ غَنِيتُ بِهِمْ فَلَيْسَ لِي فِي أَنِيسٍ غَيْرِهِمْ أَرَبُ

3 -تنافس الملوك والأمراء في تشجيع العلم، وسعي كُلٍّ منهم إلى أن يجمع أكبر عدد من الشعراء والعلماء.

4 -الرحلات العلمية بين المشرق والأندلس.

5 -تعقد الحياة وتطلبها لفكر غزير يُعبِّر عنها.

قال بشار بن برد:

شِفَاءُ العَمَى طُـولُ السُّـؤَالِ وَإِنَّـمَا دَوَامُ العَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الجَهْلِ

فَكُـنْ سـائِلاً عَـمَّا عَـنَاكَ فَـإِنَّـما دُعِيتَ أَخَـا عَـقْلٍ لِـتَبْحَثَ بِالعَـقْلِ

6 -كثرة المذاهب الدينية والفكرية، ونشاط أصحابها في الدفاع عنها ونشرها بين الناس.

7 -اختمارُ العقلية العربية بالعلوم الطبيعية والفلسفية.

أما العوامل الخاصة لازدهار الشعر يمكن تلخصيها في النقاط الآتية:

1 -احتفاء الأمراء والخلفاء بالشعراء، وتقديرهم لهم، وإغداق الأموال عليهم بسخاء، وتقريبهم لهم دون سائر الناس.

2 -الحرية الواسعة التي وجدها الشعراء في ساحة النظم، فقد أطلقوا خيالهم في كل شيء دون خوف أو وجل أو استحياء.

3 -دخول الحضارة في كل جانب من جوانب الحياة في العصر العباسي، وهذا ما قاد الشعراء إلى النظم في موضوعات جديدة لم تكن مألوفة من قبل.

4 -مظاهر الطبيعة الجميلة من أنهار وأشجار وأزهار فسحت للشعراء، وخصوصاً شعراء الوصف، مجالاً رحباً لإبداع قصائد ومقطوعات من الشعر الجميل.

5 -اتخاذ الشعراءِ الشعرَ تكسُّباً ومتجراً. والروايات عن ذلك كثيرة، منها ما رواه الأصمعي إذ قال: كُنتُ عند الرشيد، فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فقال له الرشيد: أنشدني من شعرك، فأنشده:

أَرَى النَّاسَ خُلاَّنَ الجَوَادِ وَلا أَرَى بَـخِيلاً لَـهُ فِـي العَـالِمِينَ خَلِيلُ

فقال الرشيد: يا فضل، أَعطِهِ عشرين ألف درهم، ثم قال: للهِ أبياتٌ تأتينا بها يا إسحاق، ما أتقن أصولَها، وأبينَ فصولَها، وأقلَّ فضولَها! فقال: والله يا أمير المؤمنين؛ لا قبلت منها درهماً واحداً. قال: ولِمَ؟ قال: لأن كلامك، والله، خيرٌ من شعري. فقال: يا فضل، ادفع إليه أربعين ألفاً. قال الأصمعي: فعلمتُ أنّه أصْيَدُ لدراهم الملوك مِنّي.

حركة الترجمة:

ازدهرت حركة الترجمة، وكان التشجيع الذي يلقاه المترجمون دافعا ضخما لازدهار العمل العلمي العظيم، وقد أدت الترجمة دورا مهما في نقل العلوم الأجنبية بتوجيه الخلفاء من أمثال المنصور والرشيد والمأمون، ففي عهودهم نقلت آثار الفرس واليونان في مختلف العلوم والصناعات والطب والفلسفة. وأدى ذلك كله إلى قيام حركة علمية تجلت في ابداع العلماء المسلمين في مختلف العلوم.. وتجدر الإشارة إلى أن أكثر هؤلاء المترجمين كانوا من الأعاجم الذين دخلوا الإسلام، ومن النصارى الذين ينحدرون من أصول سريانية، وكانوا على جانب كبير من الثقافة، ومعرفة اللغات وبخاصة اليونانية والفارسية.

الموضوعات الشعرية:

تتنوَّع أغراض الشعر حسب أحوال الحياة وما تقتضيه أحوال البشر في كل عصر من العصور، وذلك حسب الهدف الذي كان يقال الشعر من أجله، وقد استمدَّ الشعراء العرب أغراض الشعر من بيئتهم التي خرجوا منها، وفيما يأتي أهم أغراض الشعر في العصر العباسي:

1 -المديح:

المديح هو حُسن الثناء على الممدوح بإبراز صفاته الحميدة، سواء أكان المدح خُلُقيّاً أم خَلْقياً.

يُعد المديح من أبرز أغراض الشعر في العصور كلها، وخصوصاً في العصر العباسي، فقد نشأ بداية إعجاباً بالفضائل الخُلقية، كالكرم والشجاعة والعزة والعفة والمروءة... إلخ، ثم تطور بعض الشيء في العصر العباسي فأصبحوا يضيفون معاني التقوى والورع والزهد والتواضع إلى مدائحهم، وفتح بنو العباس الأبواب على مصاريعها ليمدحهم الشعراء، فأخذ الشعراء يمدحونهم بكل طاقاتهم الفنية والتعبيرية، حتى إنهم كانوا يمدحونهم مدحاً مُبالغاً فيه، فقد مدحوهم بكل الصفات الجميلة والمستحبة، سواء أكانت الصفات موجودة في الممدوح حقيقة أم غير موجودة، فكأن الشاعر يحضر في مدحه صورة الرجل المثالي التي يجب أن يكون عليها الممدوح، وبذلك أصبحت قصيدة المديح بمثابة التوجيه الأخلاقي لكل من أراد أن يتعرف على أخلاق العصر المستحبة لاقتفائها والجري على منوالها، قال أبو تمام:

وَلَولا خِلالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُناةُ العُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى المَكَارِمُ

تميَّز غرض المديح في العصر العباسي بالآتي :

1- ترديد المثاليات القديمة في قصيدة المدح العباسية: كان الشاعر الجاهلي والإسلامي يرسم في ممدوحه المثالية الخلقية الرفيعة التي تقدرها الجماعة، من سماحة وكرم وشجاعة وعفة وشرف ومروءة، إلى غير ذلك من هذه المعاني. وجاء العصر العباسي، وأخذ الشعراء العباسيون يعيدون هذه المثل والمعاني ويجسمونها في ممدوحيهم تجسيماً قوياً.

2- مثاليات جديدة أضافتها قصيدة المدح العباسية (المعاني الإسلامية): مضى الشعراء العباسيون في مديح الخلفاء والولاة يضيفون إلى هذه المثالية مثالية الحُكم وما ينبغي أن يقوم عليه من الأخذ بدستور الشريعة وتقوى الله والعدالة التي لا تصلح حياة الأمة بدونها، كما في مدح مروان بن أبي حفصة للمهدي، قائلاً:

أَحْـيَا أَمِيْرُ المُؤْمِنيـنَ مُحَـمَّدٌ سُـنَنَ النَّبِـيِّ حَـرَامَها وحَلالَها

3 -صوّر الشعراء الفِتَنَ والثورات الداخلية والحروب في مدائحهم، وبذلك قامت قصيدة المديح مقام الصحافة الحديثة، مِمّا جعلها وثائق تأريخية كُتبتْ شعراً، كقصيدة أبي تمام التي قالها في فتح عمورية يمدح بها الخليفة العباسي المعتصم:

السَّـيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

ومثلها قصيدة المتنبي التي قالها في فتح قلعة (ثغر الحدث) التي فتحها ممدوح المتنبي (سيف الدولة الحمداني) حاكم حلب:

عَلَى قَـدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَـزَائِمُ وَتَـأْتِي عَـلى قَدْرِ الكِـرَامِ المَكَارِمُ

4 -صوّر الشعراءُ الأبطالَ في ساحات القتال وهم يقودون الجيوش المظفرة ضد أعدائهم من الترك والفرس والبيزنطيين، وهذا التصوير أشعل الحماسة في قلوب الجنود، وجعلهم يندفعون في الحروب كاندفاع الفراش إلى النار. قال الحُسَيْنُ بن مُطَيْر يمدح الخليفة المهدي:

فَـتًى هُـوَ مِنْ غَيْرِ التَّخَلُّقِ مَاجِدٌ وَمِنْ غَيْرِ تَـأْدِيبِ الرِّجَـالِ أَدِيبُ

عَلا خَلْقُهُ خَلْقَ الرِّجَـالِ، وخُلْقُهُ إِذَا ضَـاقَ أَخْلاقُ الرِّجَالِ رَحِيبُ

5 -التجديد في مقدمات قصيدة المدح العباسي: اعتاد الشعراء على أن يستهلوا قصائدهم بمقدمة طللية، وظلَّ عدد من الشعراء العباسيين يهتدي بالموروث القديم في الوقوف على الأطلال ووصف معاناة الرحلة، كما هي الحال في قصيدة علي بن الجهم في مدح الخليفة المعتصم، ومنها قوله:

قِـفُوا حَـيُّوا الدِّيَارَ فَإِنَّ حَـقًّا عَـلَيْنا أَنْ نُـحَـيِّيَ بِـالسَّـلامِ

وقد أصاب هذه المقدمة شيء من التجديد، فهناك شعراء أهملوا وصف الأطلال، واستعاضوا عنها بالغزل أو الخمرة أو وصف الطبيعة، أو الحديث عن حالتهم النفسية، من ذلك قول أشجع السلمي في مقدمة قصيدة مدحية يستهلها بالوصف:

قَصْـرٌ عَـلَيْـهِ تَحِيَّـةٌ وَسَـلامُ نَثَـرَتْ عَـلَيْهِ جَمالَـها الأَيَّـامُ

كما ثار عددٌ من الشعراء على المقدمة الطللية، وسخروا منها، ونادوا بالتخلي عنها، كما هي الحال عند أبي نواس، إذ قال:

قُلْ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى رَسْمٍ دَرَسْ وَاقِـفاً مَا ضَـرَّ لَـوْ كَانَ جَلَسْ

تَصِـفُ الـرَّبْـعَ وَمَـنْ كَانَ بِهِ مِثْلَ سَـلْمَى وَلُبَـيْنَى وَخَـنَسْ

2 -الهجاء:

الهجاء هو ما يُوصَف به الإنسان من الأخلاق الذميمة شعراً، أو هو نزع الصفات الحميدة عن المهجو ووصمه بأضدادها.

إنَّ حجم الهجاء في العصر العباسي ولا سيّما الأول منه كبير، وقد تنوعت موضوعاته واختلفت اتجاهاته، وجاء في الغالب طعناً وتحقيراً ورمياً بالقذارة والدنس والبخل والظلم، وقد انقسم إلى قسمين: هجاء شخصي وهجاء سياسي.

أما الهجاء الشخصي فقد اتجه نحو السخرية ورسم الصور الهزلية المضحكة، بدافع الحقد والغضب والحسد والإنتقام، كما في هجاء حماد عجرد لبشار:

وَأَعْـمَى يُشْـبِـهُ القِـرْدَ إِذَا مَـا عَـمِـيَ القِـرْدُ

دَنِـيْءٌ لَـمْ يَـرُحْ يَـوْمَاً إِلَى مَـجْـدٍ وَلَـمْ يَـغْدُ

وقد اتخذ شعر الهجاء في العصر العباسي طابعاً ساخراً، وبات الشعراء يصورون مهجويهم تصويراً كاريكاتيرياً لغرض إضحاك الناس، ولفت انتباههم إلى هذا المهجو، وكأنهم بذلك كانوا ينفذون وصية جرير بن عطية الشاعر الأموي المشهور حين قال لبعض أبنائه: (إذا هَجَوْتَ فَأَضْحِكْ)، ومن هذا النوع قول ابن الرومي يهجو شخصاً أصلع:

يَا صَلْعَـةً لأَبِي حَـفْصٍ مُـمَـرَّدَةً كَـأَنَّ سـاحَـتَـها مِـرْآةُ فُـولاذِ

تَـرِنُّ تَحْتَ الأَكُـفِّ الوَاقِعاتِ بِهَا حَـتَّى تَـرِنَّ لَـها أَكْـنَافُ بَـغْدَاذِ

وقد يأخذ الهجاء الشخصي أحيانا طابع المزاح والظرف، من ذلك بيتان قالهما الحسين الضحَّاك في مغنية كان قد عبث بها فصاحت عليه واستخفت به، فأراد أن يضحك عليها الجالسين، ويسخر منها:

لَـها في وَجْـهِها عُـكَنٌ وَثُـلْثَا وَجْـهِـهَا ذَقَـنُ

وَأَسْـنَـانٍ كَـرِيْـشِ البَـ ـط بَـيْـنَ أُصُـولِها عَـفَـنُ

ومن العجب أن بعض الشعراء سلطوا هجاءهم على أنفسهم وعلى الناس من حولهم سواء أكانوا أقارب أم زوجات أم بنات أم آباء أم أصدقاء، فهذا أبو الزوائد يهجو زوجته لأنه ملها، ونرى مطيع بن إياس يهجو أباه محتقراً له، وهذا أبو دلامة يهجو نفسه لكي يضحك الخليفة المهدي، فالمصادر تروي أن أبا دُلامة دخل على المهدي وكان عنده جماعة من بني هاشم ومن أقاربه، فطلب منه الخليفة أن يهجو واحداً من الحضور، فوجّه أبو دلامة هجاءه لنفسه:

أَلا أَبْـلِغْ إِلَيْكَ أَبـا دُلامَـةْ فَلَسْـتَ مِنَ الكِـرَامِ وَلا كَـرَامَةْ

إِذَا لَبِسَ العِـمَامَةَ كَـانَ قِـرْدَاً وَخِـنْزِيراً إِذَا نَـزَعَ العِـمَـامَـةْ

أما الهجاء السياسي فقد اتجه نحو التركيز على الإنحراف الديني ونسب الشذوذ والزندقة للمهجوين. ومِنْ ذلك قول دعبل الخُزاعي في هجاء المعتصم والواثق:

خَلِيفَـةٌ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدُ وَآخَـرٌ قَامَ لَـمْ يَفْـرَحْ بِهِ أَحَدُ

فَمَرَّ هَـذَا وَمَـرَّ الشُّؤْمُ يَتْبَعُهُ وَقامَ هَـذا فَقامَ الشُّؤْمُ وَالنَّكَدُ

ومن أبرز شعراء الهجاء في العصر العباسي الأول حماد عجرد، وبشار بن برد، وابن الرومي، ومطيع بن إياس. ومن الشعراء المشهورين بالهجاء في العصر العباسي الثاني أبو القاسم الحسين بن الحسن المعروف بالواساني، والأبله البغدادي الذي اشتهر بالهجاء المقذع المليء بالشتائم، ومثله الشاعر ابنُ عُنَيْن الذي لم يتورع من نظم قصيدة طويلة منحطة سافلة في أشراف الناس وشتم أعراضهم سماها (مقراض الأعراض).

ويتميز شعر الهجاء في العصر العباسي بجملة مزايا، أهمها:

1 -سهولة الألفاظ وبساطة التراكيب والميل نحو الشعبية.

2 -كان الشعراء يحاولون نظم الهجاء على بحور قصيرة أو مجزوءة.

3 -غالباً ما يكون مقطوعات أو قصائد غير طويلة، كي يسهل حفظها وتداولها بين الناس.

4 -كانت قصائد الهجاء تجلب الضحك؛ أي إنها تكتب من أجل الإضحاك، وهذا يناسب الطبيعة العابثة لبعض شعراء العصر.

3 -الرثاء:

احتدم الرثاء في العصر العباسي، فلم يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلا رثاه الشعراء، وسَعَّر موتُ الأبناء وذوي الرحم قلوب الشعراء، فبكوهم بدموع غزار، كما بكوا زوجاتهم، وبكوا كذلك العلماء والجواري. وظهرت أنواع جديدة في الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، من ذلك رثاء المدن والحدائق والأملاك ورثاء الحيوانات والطيور.

وسنحاول الوقوف عند أبرز أنواع المراثي (اتجاهات الرثاء) في هذا العصر، وكما يأتي:

1 -رثاء الخلفاء والوزراء والأمراء والقادة:

شاع في العصر العباسي رثاء الخلفاء والوزراء والأمراء والقادة، وجاءت مراثيهم تفيض بالألم والحسرة لفقده، فهذا سَلْم الخاسر يذرف الدموع الغزار على الخليفة المهدي، قال:

وَبَاكِيَةٍ عَلَى المَهْدِيِّ عَبْرَى كَأَنَّ بِها ـ وَما جُنَّتْ ـ جُنُونَا

2 -رثاء الأبناء والزوجات:

من الأنماط التي يمتلئ بها الرثاء في كل العصور (رثاء الأبناء)، وهو من أشرف الأشعار وأصدقها. وقد عبر الشاعر العباسي عن حزنه الشديد لفقد ابنه بمظاهر الحزن المختلفة من بكاء شديد أو أرق متواصل، أو ما وصل إليه حالهم بعد أبنائهم، أو بغير ذلك من وسائل التعبير المختلفة.

وأفضل من استخدم الدموع مظهراً من مظاهر الحزن (ابن الرومي) عندما اختطف الموت ابنه (محمد)، فأخذ يبكيه بكاء حاراً، مخاطباً عينيه أن ترسل الدموع غزيرة، قائلاً:

بُكَاؤُكُما يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لا يُجْدِي فَجُودَا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي

للزوجة في العصر العباسي مكانة عالية عند زوجها، فاحتفى بها حَيَّةً، وحزن حزناً شديداً لفقدها. ومن الشعراء الذين اشتهروا بهذا اللون من الرثاء الحزين (ديك الجن) الذي قتل زوجته إثر وشاية كاذبة وبقي يبكي عليها بشعر صادق يعبِّر فيه عن مأساته فيها، كما في قوله:

فَقَـتَلْتُهُ وَبِـهِ عَـلَيَّ كَـرَامَـةٌ مِلْءَ الحَشَا وَلَهُ الفُـؤَادُ بِأَسْرِهِ

3 -رثاء العلماء والأدباء:

ومما شاع في العصر العباسي . والذي يعد من مستجدات الرثاء . رثاء العلماء والأدباء، فقد رثى أعرابي العالم الجليل محمد بن جرير الطبري، فبَيَّنَ أن موته خطب عجز عنه الصبر، قائلاً:

قَامَ نَاعِي العُـلُومِ أَجْـمَعَ لَـمَّا قَـامَ نَاعِي مُحَـمَّدِ بْنِ جَـرِيْرِ

فَهَـوَتْ أَنْجُـمٌ لَـهَا زَاهِـرَاتٌ مُؤْذِنَـاتٌ رُسُـومُهَا بِـالدُّثُـورِ

4 -رثاء الأصدقاء:

ومن ملامح التجديد في مضامين الرثاء، رثاء الرفقاء والأصدقاء؛ لما لهم من مكانة خاصة في النفس، فهذا "بشار" يتحسر على صديقه، قائلاً:

وَيْلِي عَـلَيْهِ وَوَيْـلَتِي مِنْ بَـيْنِهِ كَانَ المُحِبَّ وَكُنْتُ حِبَّاً فَانْقَضَى

5 -رثاء الحيوانات :

من موضوعات الرثاء التي استجدت في العصر العباسي، رثاء المدلل من الحيوانات المستأنسة. فلم يعد الإنسان هو الكائن الوحيد الذي حزن الشعراء لفقده، وإنما شاركه في هذا كائنات أخرى كالحيوانات الأليفة والطيور المستأنسة، فقد رأينا بعض الشعراء في العصر العباسي يبكون الكلاب، والقطط، والديوك، وغيرها من تلك الحيوانات والطيور التي أحبها الإنسان وألفها، وأستأنس بها، ووجد فيها السلو والنفع معاً. من ذلك قول أبي نواس في أرجوزته البائية التي يرثي فيها كلبه الذي لسعته حية فمات:

يَا بُـؤْسَ كَـلْبِي سَـيِّدِ الكِـلابِ قَـدْ كَانَ أَغْـنَانِي عَـنِ العُـقَابِ

6 -رثاء المدن:

ظهر في العصر العباسي اتجاه جديد للرثاء متعلق بالنقلة الحضارية، وهو رثاء المدن، وقد كان جديداً بكل معاني الكلمة، فقد جاء في العصر العباسي متشبعاً بالمعطيات الثقافية والفنية، فظهر فناً متكاملاً وكأنه فن جديد لا عهد للعرب به، إذ إن علاقة الإنسان بالمدينة من قبل لم تتوطد بالشكل الذي توطدت به في العصر العباسي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تشهد المدن الإسلامية قبل هذا العصر من الدمار والتخريب ما شهدته بعض مدن العراق في هذا العصر.

ونماذج رثاء المدن في الشعر العباسي أكثر من أن تحصى، من ذلك رثاء بغداد، إذْ كانت أول محنة أصيبت بها مدينة في العراق في العصر العباسي هي المحنة التي أصيبت بها بغداد العاصمة، حين نشب الصراع بين الأمين والمأمون، فقد حاصرت جيوش المأمون بغداد وضربت المدينة بالمجانيق، فكثر الخراب والهدم والدمار، حتى درست محاسن بغداد. وتعد قصيدة أبي يعقوب الخريمي من أشهر القصائد في رثائها، وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها (135) بيتاً، وفيها يقول:

فَإِنَّها أَصْبَحَتْ خَلايَا مِنَ الـ إِنْسَانِ قَدْ أُدْمِيَتْ مَحَاجِرُها

ومن المدن الأخرى التي رثاها الشعراء مدينة البصرة التي ضربها الزنج بقسوة وعنف وأذلوا أهلها، فقد رثاها الشاعر ابن الرومي في قصيدة طويلة تجاوزت الثمانين بيتاً، صوَّر فيها الفاجعة الكبيرة التي حلت بها بعد ثورة الزنج، وفيها يقول:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكِ أَيَّتُهَا البَصْـ ـرَةُ لَهْفاً كَمِثْلِ لَهْبِ الضِّرامِ

7 -مراث أخرى:

وقد رثى الشعراء الجواري والغلمان، كما رثى ابن الرومي جارية مغنية اسمها بستان بقصيدة طويلة. وهناك مراث تبدو غريبة، وهي من مستجدات العصر العباسي، فمثلاً نجد للشاعر محمد بن أبي يسير مرثيةً في رثاء بستان، ولشاعر آخر قصيدة في رثاء قميص أغار عليه فأر فقرضه، ولعبد الصمد بن المعذل قصيدة في رثاء طفيلي مات على المائدة بعد أن بلع لقمة حارة جداً، ولمحمود بن الحسين الملقب بكشاجم قصيدة في رثاء قدح انكسر، قال فيها:

عَـرَانِي الـزَّمَانُ بِأَحْـدَاثِـهِ وَلَيْـسَ كَفَجْـعَتِنا بِالـقَـدَحْ

وَعِنْدِي فَجَائِعُ لِلْحَادِثَاتِ فَبَعْضَاً أَطَقْتُ، وَبَعْضَاً فَدَحْ

مقارنة بين المديح والهجاء:

1 -المديح إبرازٌ للصفات الإيجابية سواءٌ أكانت خَلْقية أم خُلُقية. أما الهجاء فهو إبرازٌ للصفات السلبية خَلقية كانت أم خُلُقية.

2 -الدافع إلى المديح هو الإعجاب والحُبّ، أو الطمع أحياناً. أما الدافع إلى الهجاء فهو الحِقد أو الغضب أو الحسد.

3 -المديح يتّسمُ بالجِدِّ، أو يغلب عليه طابع الجد، ولا نجد فيه إضحاكاً أو سخرية. أما الهجاء فيكون في الغالب مُضحكاً ساخراً.

4 -البنية اللغوية في شعر المديح تكون متينة السبك رصينة الألفاظ. أما الهجاء فألفاظه سهلة سَلِسة بسيطة.

5 -قصائد المديح طويلة نسبياً. أما الهجاء فيكون غالباً في مقطوعات قصيرة.

مقارنة بين المديح والرثاء:

1 -المديح مدحٌ للأحياء. والرثاء مدحٌ للأموات.

2 -الدافع إلى المديح هو إعجاب الشاعر بالممدوح، وقد يخالطه الطمع. أما الدافع إلى الرثاء فهو إعجاب الشاعر بالمَرثِيّ، ممزوجاً بالتَّوجُّع والتَّحسُّر والحُزن.

3 -شعرُ المديح قد يكون صادقاً، وقد يكون غيرَ صادق. أما الرثاء فشعرٌ عالي المنزلة لأنه نابع من القلب، فهو شعر صادق.

4 -يتحدث شعرُ المديح عن بنية زمانية حاضرة أو مُستقبلية. أما شعر الرثاء فيتحدث عن بنية زمانية ماضية.